

العراق

رسالة من ماجد السامرائي

من السياب .. الى جواد سليم ..

لعلها اكبر من ان تكون مصادفة هذه التي جمعت بين شخصيتين من اكبر الشخصيات الفنية في مرحلة واحدة من مراحل التاريخ المعاصر لهذا القطر ، انفردت بمعطياتها الضخمة ، وبتطلع يمسلا العيون الى ما يمكن ان يعيد الغصب لتربة الحاضر . كان أحد هاتين الشخصيتين رائدا في مجال الفن التشكيلي ، حيث أرسى دعائم مدرسة جديدة (جواد سليم - توفي في ٢٣ كانون الثاني عام ١٩٦٤) .. والاخر رائدا لحركة التجديد في الشعر (بسندر شاعر السياب - توفي في ٢٤ كانون الاول عام ١٩٦٤) . وعلى الرغم من كون الاول فنانا تشكليا ، والثاني شاعرا .. فان اكثر من شيء جمع بينهما على صعيد الفن ..

- فكلاهما كان مجددا في ميدانه . فكما كان السياب ثورة في شعرنا المعاصر ، وحافزا لنبت كل الاطر والاساليب التقليدية التي جمدت حركة الشعر .. كذلك كان « جواد سليم » ثورة في الفن التشكيلي في هذا القطر ..

- السياب شكل مدرسة شعرية رسخت دعائمها في واقع كان بحاجة الى الحيوية .. وجواد أرسى دعائم « مدرسة عراقية فسي الفن .. فكان « المعلم والرائد » .

- وكلاهما - السياب وجواد - استفاد من هذه الحضارة الهائلة: حضارة وادي الرافدين .. كاشفا عن كنوزها الدفينة التي ظلت ، حتى عهدهما ، موكومة في الظل ..

- ثم .. ان كليهما اتجه الى « الواقع العراقي » ، محسولا الكثير من مجالات حياته، وتشخصاته الى رموزها دلالاتها الحضارية، وتجارب أفضحت عن قدرة فنية هائلة ، وحس دقيق ، واخلاص وحب ..

هذه خطوط صغيرة لما يجمع بين السياب - الشاعر، وجواد - الرسام .

ولئن كان كل منهما قد حظي بما لم يحظ به غيره من الاهتمام ونال من الدراسات الشيء الكثير . ولكن .. ومع كثرة ما كتب عنها ، فان جوانب كثيرة من حياتهما الفنية ما تزال بحاجة الى دراسات أخرى نفسها وراء الاكتشاف ..

فالسياب الذي كانت مأساته عامل عطف عليه ، بحيث انسحب هذا « العطف » على ما كتب عنه .. فكان الكثير من هذا الذي كتب غير ممتلك قدرة « التجرد » . فجاءت أغلب الدراسات التي كتبت عنه مفتقرة الى الكثير من مفاهيم الدراسة ، ولم تقيم شعر هذا الشاعر العظيم في ضوء مفاهيم نقدية واضحة ..

.. شعر السياب ، كما هي حياته : متعدد الجوانب . مليء بالتعميد الشخصي الذي سببته له ظروف وملابسات شتى .. وصدامت عديدة :

- كانت الصدمة الاولى في انتقاله من القرية الى المدينة -

والتي تتراعى في شعره وكأنها انتقال من الربيع والضلال الى الجحيم ، ومن الظهور والبراءة الى نقيضهما - فواجه الحياة ، او قال واجهته بطبيعة غير التي ألفها . تبدل وجه الناس . اخلاقهم سلوكهم اليومي . نظرتهم . فاحس من خلال ذلك ان المدينة سائرة نحو التهام القرية (والقرية بالنسبة له تعني : البراءة والطيبة ، والاحلام ... الخ) . وجد المدينة ملتقى الخطوط غير متوازية ، عبرت اليها من كل منحى . وظلت ، في ذهنه صورة غير واضحة الملامح والابعاد .. عكس ما هو حاله مع القرية ..

وخوف بدر هذا ، الذي نشأ معه منذ « جيكور والمدينة » حتى « ام البروم » .. بل ومنذ « الومس العمياء » ، هو خوف الالتهام، والجوع ، والتشرد . خوف ان يصبح الانسان « كائنا بلا معالم » .

- الصدمة الثانية ، كانت اخفاقه في حب من احب (وهن كثيرات) . واخفاقه هذا قد اسلمه الى حالة تعقيد غريبة ، لعلها كانت دافعا في خلق روح التحدي عنده ، وعاملا من عوامل تبلور شخصيته الشعرية . فهو ازاء رفضهن (لان كل من احببت قلبك ما احبوني) ، لم يكن امامه الا ان يشرح جدار الزمن .. فاتجسة الشعر ، - مصدر عظمته - ، ومضى في طريق هذه « العظيمة » ليصرع فيهن الفرور . كان شكله لا يستثير جبهن ، فليكن الشعر . ولكن ذلك النبوغ جاء بعد ان انتهى كل شيء . بعد ان مضت كل في طريقها . (وكانت ظاهرة لها دلالاتها ، وهي ان يشعر بعضهن بحبه بعد الموت ، وتعلقن به ميتا !) .

- الصدمة الثالثة ، كانت خيبته في السياسة ، والتجريح الذي ناله جراءها .. والتجريح الذي اصاب « الاخرين » من قلمه ، بالقابل ..

- الصدمة الرابعة ، كانت مرضه ، والاهمال الذي صاحب هذا المرض . فكان يحس بخطى الموت تقترب منه ، وهو لا يملك غير الصراخ : الصراخ بالشعر . فهو اجتهته الموت في عالم صاحب لا يلتفت الى آنين جريح .. فلم يبق معه سوى زخم شعري هائل ، متدفق ، قوي كالنيار ، كانه كان « معادلا » للشيء الذي فقده (الفعل والحركة) . فان كان قد خسر « الفعل والحركة » ، فهو لم يفقد « الفعل - الصوت » .. وهكذا ، ظل يصرخ .. ويصرخ ، حتى مات من الصراخ !! .

وهو اليوم ارث شعري ضخم .. وتمثال يطل على منطقة احبها (شط العرب في البصرة) .. وقبر في « الزبير » يرقد فيه جثمان شاعر « لم يكن راغبا حتى يخط اسمه على الماء » .. تماما كما كان الحال مع « جون كتييس » .. الشاعر الذي احببه السياب ..

اما جواد السليم فهو على الرغم من غيابه عام ١٩٦١ ، ما يزال ماثلا .. لا بما انتج حسب ، انما بروحه الفنية ، وكلماته التي ما تزال تحتفظ بصداها العميق ، وتحتل موقعها في واقع حركتنا الفنية الراهنة . ولعل هذه الاهمية التي اكتسبها جواد في حياته وبعد صوته ، أصبحت عاملا مؤثرا على الفن والفنانين في العراق اليوم . فهو يعني الكثير بالنسبة لهذه الحركة . ولعله هو « المؤثر » الكبير الذي ما يزال يحفظ لهذه الحركة « روح انضباطها » ، ويحميها من الانفلات .. وهو « المعلم » الذي يحتمك اليه الفنانون على مختلف اتجاهاتهم الفنية ذلك انه يمثل التراث ، والارضية .

من أرض توهج بكل ألوان الحضارات ، وبكل معطيات الخصب الإنساني ، طلع هذا الفنان وفي يده نار « بروميشيوس » ، وفي قلبه حب الحياة والإنسان .. وفي روحه نزعة التفاني في سبيلهما. ولم يكن ذلك الفراغ الصامت في دنيا الفن الا حافظا له لان يملأه بما امتلك من قدرة أفصح عن نفسها من خلال أعماله التي جسدت كل لمسة فيها لمحة من تراب هذا الوطن ، ولم تكن رحلته تلك نزهة ، او لهوا ، او تجريا ... انما كانت جهدا ، وعرقا ، ومغامرة .. والاكثر من هذا انها كانت حبا ، وبحثا واعيا من اجل شيء ..

في بدء حياته وجد « جواد سليم » نفسه في بيت كان جميعه فنانا .. فنبض فيه حس الفن ، وتنامى ، وتطور ، حتى أصبح اشارة كبيرة في الوجود العام لفن هذا القطر . ذلك ان لوحات جواد سليم ومنحوتاته ان هي الا « كلمات جديدة » : فهذه الاصاله في الرؤيا ، وهذه المرونة في الحركة ، وهذه الرموز الفنية (اجتماعية كانت ام حضارية) وقد تحولت الى « تكوينات » تعبر عن حساسية مرهفة ، وحس دقيق .. كل هذه كانت الاساس الكبير لهذا الفن الذي يطالنا اليوم ، وبكثير من الثقة : الفن العراقي الحديث . ولعل اهم ما في حياة جواد الفنية انه لم يساير مدرسة بذاتها.. ولكنه فهم الخطوط الاساسية التي تعتمدها كل مدرسة . ومن هنا بدأ دعوته لخلق فن عراقي اصيل ..

قيل له مرة : « ان اكثر لوحاتك لا تخلو من حوافز ودعوات المجتمع ، وتتمثل هذه واضحة في وجود المآذن ، وارتفاع الهتافات . فهل تعتبر هذا ليس نزولا من الفنان للمجتمع ؟ » .

فكان رده : « انني في الوقت الذي ادعو فيه لخلق الفن العربي العراقي الصميم ، اود القول بانني لا اؤرم تعنيف العقول وتقييد الافكار التحررة .. انما اريد « النظرة » و « الانطباعية » . اما النظرة فهي ان نرى اللوحة بسذاجتنا ، وبباصرة اجسامنا لا بعقولنا وبباصرة تفكيرنا . فانا مثلا عندما اعرض ما ارسم على خادمتنا الصغيرة تفهم ان هذا التخطيط لقطعة، وذلك الاسكيز - أي الدراسة السريعة - لرجل ، وهذا الثالث الكمنجة . وانا في الوقت ذاته عندما اعرض هذه اللوحات نفسها على شخص تقمص روحية الثقف لما فهم عنها الا الشيء غير الموجود فيها .. ومرجع هذا ان الصغيرة نظرت لهذه اللوحات باحساسها وبفطرتها .. اما المثقف شاهدها ببصيرته المفكرة ، وافقه الثقافي » .

وبعد عودة « جواد » من انكلترا ، اواخر عام ١٩٤٩ ، سعى الى تشكيل جماعة تتحقق من خلالها المفكرة التي يسعى الى ترسيخها في واقع الفن العراقي .. وكان له ذلك .. بتأليف « جماعة بغداد للفن الحديث » التي طلعت على الجمهور بأول معرض لها عام ١٩٥١ .. وهذه الجماعة تألف « من رسامين ونحاتين ، لكل اسلوبه المعين . ولكنهم يتفقون في استلهام الجو العراقي لتنمية هذا الاسلوب . فهم يريدون تصوير حياة الناس في شكل جديد، يحدده بادراكهم وملاحظاتهم لحياة هذا البلد الذي ازدهرت فيه حضارات كثيرة واندثرت ، ثم ازدهرت من جديد ..

.. انهم لا يففلون عن ارتباطهم الفكري والاسلوبي بالتطور الفني السائد في العالم ، ولكنهم ، في الوقت نفسه ، يبقون خلق اشكال تصفي على الفن العراقي طابعا خاصا ، وشخصية مميزة(١).

ويجد الاستاذ جبرا ان فن « جواد » مر ما بين ١٩٥١ و ١٩٥٨ ، « بثلاث مراحل (مهمة) تبلور فيها اسلوبه وتأكدت شخصيته . في المرحلة الاولى ، وهي قصيرة ، عالج فيها جواد اسلوبا أقرب الى

(١) جبرا ابراهيم جبرا : الرحلة الثامنة - منشورات المكتبة العصرية - بيروت : ١٩٦٧ - ص ١٩٩ .

التجربة ، ولا سيما في النحت ، متخذاً شكل الهلال اساسا لمواضيع مفقدة ، واخذ الثور (بكل ما يرمز به الى حياة العراق الزراعية وتراثه الما قبل العربي) والامومة ، كموضوعين (مهمين) . غير ان الهلال يعود ثانية ، ويعنف خصب ، الى فكرة الفن العربي ، فتبدأ مرحلته الثانية ، حين يستغل الشكل الهلالي استقلالا خصبا فسي مواضيع شعبية . وقد اجأ اول الامر الى الالوان الهادئة ، التي لا يشتد التباين بينها ، لكي يؤكد على قيمة التخطيط ، مستذكرا دائما الاطباق النحاسية العربية القديمة » ..

.. « فجة يعود جواد الى عشقه القديم للواسطي ، فيدخل الالوان الصريحة المرحه في اشكاله الهلالية ، ويحقق عددا من اجل ما خلف لنا في هذه الفترة ، كما في صورة « موسيقى في الشارع » حيث يختلط الموضوع العراقي الشعبي بنظريات الرسم عن روح الفن العربي ، ويستمد من رسوم المخطوطات القديمة والخط العربي روحا جديدة ، ويعود الى مواضيع ألف ليلة وليلة ، مواضيع « كيد النساء » ، ومواضيع « الفرسان وخيلهم » ، ويرسم سلسلة من الصور تتفاوت حجما وزمنا ، يسميها « البفداديات » . والبفداديات كلها تتسم بالخطوط المتعرجة الحركية والالوان الصافية - ، وهي تمثل احيانا رد فعل الفنان لما يرى في محيطه .

في الشيء من السخرية والتنالم وكثير من الحب والمطف(٢) . ومع ان لجواد سليم تأثيرا كبيرا في حركة الرسم المعاصر في العراق ، فانه لم يترك لنا في مجال « الفكر الفني النظري » سوى بضع مقالات ، وملاحظات ، ومذكرات نشر بعضها ، وما يزال قسم كبير منها مطويا(٣) .. الا ان هذا الذي تركه يكاد يعرض الكثير من نظرياته في الفن .. ويضع الاسس الواضحة المعالم لتأسيس « مدرسة عراقية » في الفن التشكيلي . فجواد ليس عرضا طافرا في تاريخ فننا التشكيلي المعاصر . كانت حياته ذات شقين : الاول، ينحصر في النحت ، وهو ما اولاه الاهتمام الاكبر .. والثاني في الرسم .. مع بعض الاهتمامات الجانبية في الموسيقى. ولعل « نصب الحرية » هو من اصخم الاعمال العراقية في النحت .. تجلت فيه قدرة هذا الفنان العظيم .. وكان خاتمة لامعته في النحت . حتى ليذهب الكثيرون ممن يتعرضون للحديث عن جواد الى ان أمثاله لا يتكررون في مستقبل فن هذا القطر الا بتكرار المعجزات . لقد اودعه الموت في الزمن .. بمعنى ان اعماله كانت احتكاما الى الاصاله ، وتبينا لجوهر فن يمتلك اليوم شروطه الخاصة به ..

بفداد ماجد صالح السامرائي

(٢) نفس المصدر - ص : ١٩٩ - ٢٠٠ .

(٣) نشر الاستاذ جبرا بعض هذه المذكرات في كتابه « الرحلة الثامنة » ، وما يزال القسم الاكبر من هذه المذكرات موزعا بين جبرا ، وزوجة الفنانة لورنا سليم .

تونس

رسالة من محمد بلحسن

فتح ملف الثقافة

قامت وزارة الشؤون الثقافية بعملية مراجعة وتقييم للعميل الثقافي الذي تم اتجاذه منذ عشر سنوات وتحديد آفاق جديدة للعمل الذي ينبغي القيام به في المستقبل ، وذلك بالتعاون مع رجال الثقافة والفكر والفن .. وكان الاستاذ الساذلي القليبي وزير الثقافة قد أوضح الغرض من فتح ملف الثقافة وهو : إعادة النظر في السياسة الثقافية التي وقع اتباعها منذ ما يناهز العشرة اعوام، والانكباب على بحث اهم القضايا الجوهرية لثقافتنا التونسية وضبط

سنة في حقل الثقافة والمعرفة واتجاهه الفيزي خاصة فيما يتعلق بالبحوث التاريخية وماضي الامجاد ، كما انتظم في بهو السدار معرض وثائقي للصور التذكارية وكتب ومخطوطات المحتفى به كما صدرت نشرة للتعريف به نسبا ونشأة ونتاجا .

● لحياء وتنمية التراث الموسيقي العربي احتضنت تونس اول مسابقة عربية لتلحين الموشحات التي نظمها المجمع العربي للموسيقى التابع لجامعة الدول العربية . وشارك في المباراة ٢٣ ملحنا من مختلف البلدان العربية ، فاز ثمانية منهم في الدورة الاولى للتصنيف . وفي الدورة النهائية خلال سهرة عامة بحضور لجنة تحكيم من عدة بلدان من المغرب والشرق العربيين فاز بالجائزة الملحن اللبناني المطرب حليم الرومي .

محمد بلحسن

تونس
★ ★ ★

غياب بن عياد . .

توفي في باريس هذا الشهر عن اثنين واربعين عاما الممثل التونسي المعروف علي بن عياد رئيس فرقة مدينة تونس اثر نزييف دموي في الدماغ .

وكان علي بن عياد كتلة من النشاط والحيوية ، وهب حياته كلها للفن المسرحي ، وعمل ليلا ونهارا لتكوين « ذخيرة » مسرحية تحصل طابعا تونسيا صميما . واستطاع ان يثبت وجود المسرح بعد الاستقلال ، وان يعزز مكانة الفنان الممثل ، ماديا ومعنويا ، وان يدافع عن حقوقه ، ويفرض الاعتراف به والاحترام لمهنته .

اما اسلوبه المسرحي فكان يعتمد على التأليف التونسي من غير ان يلجأ الى الاقتباس الاجنبي الا عند الضرورة القصوى ، لانه كان يعتقد ان المسرح في هذه البلاد يجب ان يكون تونسيا صميما او لا يكون ، ذلك ان المسرح ، في نظرة للشعب ومن الشعب ، فكان يقدم مسرحياته بندا من العاصمة حتى ابعد نقطة من البلاد . ولم يمنعه ذلك بالطبع من ان يخرج هذا الفن التونسي الى العالم ، ويفرضه في « مسرح الاسم » في باريس مرات عديدة ، وفي « اوبرا القاهرة » وفي مسارح بيروت وفي اوبرا عاصمة الجزائر وفي مسرح الرباط وفي عاصمة النمسا .

ومن ابرز المسرحيات العالمية التي قدمها الفنان سواء التي قام فيها بادوار البطولة او باخراجها مسرحيات « كاليغولا » و « مسراد الثالث » و « بارما » و « ثورة صاحب الحمار » و « عهد البراق » و « اقفاص وسجون » . وكان لهذه المسرحيات صدى كبير في البلاد العربية وفي باريس .

فلسطين

ماركوز في نابلس

تلقت « الآداب » الرسالة التالية من صديق لها في الارض المحتلة عن زيارة هربرت ماركوز لاسرائيل :

في شهر ديسمبر ١٩٧١ لبي الفيلسوف هربرت ماركوز دعوة تلقاها من مؤسسة فان لير في القدس لاقضاء بعض المحاضرات في اسرائيل . وحاضر ماركوز في فلسفة الجمال . لم يتطرق السي الوضع في الشرق الاوسط وأبى ان يتحدث او يجيب على الاسئلة السياسية التي وجهت اليه الا في الايام الاخيرة من زيارته لاسرائيل ولعله تعمد ذلك ، تعمد الا يلتمس هذا الموضوع الحساس قبل ان يرى الوجه الاخر للعملة ، أي قبل ان يلتقي بعرب الضفة الغربية . فلقد طلب من مضيئه تهيئة لقاء له ببعض العرب هناك ... ان

المنهج والاختبارات الاساسية التي يمكن ان نتمتعها مطلقا للخطة الثقافية التي نلتزم السير على منهاجها في السنوات القادمة لا فقط في نطاق الاجهزة والدوايب التابعة للوزارة . بل كذلك في مستوى جميع المؤسسات والجمعيات التي تعنى بشؤون الثقافة وتعتبر الدعامة الاساسية لكل عمل ثقافي يهدف الى دعم النهضة الشاملة في كافة المجالات الفكر والفن » .

وتكونت لجان قطاعية مختصة بروعي في افرادها اختصاصهم في الميدان الثقافي . وبلغ عدد هذه اللجان اربع عشرة لدراسه مختلف القطاعات الثقافية من اداب واثار ونشر وطباعة ومسرح وفنون جميلة ومعارض واذاعة وتلفزيون وسينما وموسيقى وفنون شعبية . وناقش رجال الثقافة التقارير المطروحة عليهم مساهمة منهم في هذه الاستشارة الثقافية ، وضبطت عدة مقترحات وملاحظات فصد اقرار سياسة ثقافية واضحة المعالم وطيدة الازكان ، وبقيّة نشر الثقافة وتوفير وسائلها وتنوع ادائها للرفع من مستوى الشعب واثارة الافكار .

وكلفت لجنة عامة تتكون من الاساندة : الطاهر فيقة - رئيسا ، وابو القاسم محمد كرو ، والدكتور محمد عزيزة ، وعز الدين باش شاوش ، وحسن الكروت ، وعبد العزيز العاشوري . بمهمة غزيلة مختلف التقارير والاقتراحات والملاحظات وضبطها في تقرير نهائي بعد استخلاص كل ما من شأنه ان يكون عنصرا ايجابيا لرسم الخطة الثقافية العشرية المقبلة .

الادب التونسي في (الآداب)

تصدر (الآداب) عددا خاصا بالادب التونسي القديم والحديث ويشترك اتحاد الكتاب التونسيين باعداد محتويات هذا المسدد الذي يشتمل على عدة دراسات عن تاريخ الادب التونسي واطواره المختلفة وبرز اعلام كل طور من القديما والمحدثين ، وبحوث عن اتجاهات القصة التونسية الحديثة وكذلك الشعر التونسي المعاصر، وقصص وقصائد نخبية من القصاصيين والشعراء المعاصرين .

وكان اعضاء الوفد التونسي الى المؤتمر الثامن للادباء العرب في دمشق قد تحولوا اثر انتهاء اشغال المؤتمر الى بيروت حيث استقبلهم الدكتور سهيل ادريس وضبطوا معه محتويات هذا العدد الخاص من (الآداب) الذي نامل ان يصدر في اقرب فرصة .

انباء أدبية

● في نطاق تدعيم التعاون الثقافي بين تونس ولبنان وخاصة في مجال النشر والتوزيع تم الاتفاق بين البلدين الشقيقين على اقامة اسبوع للكتاب اللبناني في تونس بداية من يوم ١٥ ابريل القادم .

● شاركت تونس في معرض القاهرة الدولي للكتاب حيث عرضت مجموعة هامة من الكتب التي صدرت خلال السنوات الاخيرة في الادب والبحث والنص والشعر والتاريخ وقصص الصغار الى جانب كتب التراث الادبي القديم ومؤلفات ابن الجزائر .

● زار تونس الدكتور ابراهيم بيومي مذكور الامين العام للمجمع اللغوي بالقاهرة حيث ألقى سلسلة من المحاضرات في كلية الشريعة وأصول الدين . وشارك في ندوة فلسفية موضوعها (طرائق تدريس الفلسفة في المؤسسات التربوية) مع شلة من اساندة الفلسفة الاسلامية . كما ألقى الدكتور مذكور في دار الثقافة ابن خلدون امام جمهور الادباء ورجال التعليم والطلبة محاضرة قيمة عن (العربية بين اللغات العالمية) .

● اقامت دار الثقافة ابن رشيق حفلا بهيجا لتكريم المؤرخ العلامة الاستاذ عثمان الكعالي تقديرا لجهاده الطويل مدة خمسين

ماركوز يبحث عن الحقيقة ويسعى إليها .

وكان اللقاء ... في نابلس ... في احد البيوت القائمة على سفح جبل جرزيم ، كان اللقاء ..

كانت تصحبه زوجته ، السيدة التي يحملها ماركوز مسؤولية الكثير من الافكار التي تضمنها كتابه « الإنسان ذو البعد الواحد » . ومع احتساء القهوة تحدّثه صاحبة البيت عن ترجمة كتبه الى اللغة العربية في بيروت ، وحين تذكر كتابه المترجم « فلسفه النفي » تبدو الدهشة والرضى على الوجه الذي لم تستطع الثلاث والسبعون اخماد حيوبته .

- : أهذا أيضاً ؟ انه من احدث كتيبي ، اخرجته المطبعة قبل عام فقط .

- : المثقون العرب يلاحقون افكارك أولاً بأول ..

- : هل يعرفون اللغات الاجنبية ؟

وتجد هي السؤال غريباً .. ولكنها تجيب ببساطة وفسد اخفت استغرابها .

- : كلهم ، ومنهم من يتقن أكثر من لغة اجنبية واحدة .

ويلتفت ماركوز الى احد مرافقيه من اليهود ويسأله :

- : هل ترجم هذا الكتاب الى العبرية ؟

الجواب بالإيجاب

وتسأله صاحبة البيت ان كان في نيته زيارة بعض البلاد العربية ، ويجيب ماركوز بحماس : « تلقيت دعوتين من بيروت والقاهرة ، وقبلت كليهما قبل ان اتلقى الدعوة لزيارة اسرائيل .. طلب تحديد الموعد ، لا ازال انتظر الى الان ، لم اتلق اي رد .. استغرب هذا .. »

وتعبر السيدة ماركوز عن رغبتها الصادقة في زيارة البلاد العربية .. تقول « ان كان بإمكانك توصيل هذه الرغبة الى الجهات المعنية في القاهرة وبيروت فأرجو ان تفعل ، اننا لا نزال ننتظر » ويدخل ماركوز الى الموضوع الكبير ..

- : تسألون أم أسأل ؟

- : أنت تسأل ونحن نجيب .

وتبدأ الاسئلة .. انه يحاول تلمس الحقيقة .. يريد ان يضع اصبعه عليها ، ان يلمسها كما هي ، عارية مكشوفة .. الذي يقال عن تعسف السلطات الاسرائيلية ، ما مداه مسن الصحة ؟ ويستعرض ماركوز ما قرأه عن ذلك التعسف .. أهذا صحيح ؟

يستمع ، يصفي بانتباه شديد الى الاجابة .. نفس البيوت .. التعذيب في السجون .. ترحيل السكان في بعض المناطق المحتلة .. الابعاد الى الضفة الشرقية .. تقييد الحريات .. الديمقراطية الزائفة .. القرى العربية التي لم يبق لها من أثر ..

يقطب ماركوز ويسأل : - أين ذهب سكان تلك القرى ؟

- : ثلاثة ارباعهم لجأوا الى الضفة الشرقية والباقي تبعثروا هنا وهناك ..

ويطرق ماركوز مستغرقاً في تفكيره ..

كانت الاجابات صريحة ، واضحة ، محددة .. لا تهوئش ، لا تهويل ، لا مبالغة . اجابات مدعومة بذكر الاسماء والارقام والتاريخ اذا استدعى الامر ذلك . لقد تعلم سكان الضفة الغربية الكثير منذ الاحتلال الاسرائيلي . المبالغة والتهوئش وعدم التزام الصدق التام في طرح الامور امام الباحثين عن الحقيقة يسيء الى قضيتهم العادلة ، القضية التي بقيت عشرين سنة في أيدي محامين فاشلين .. في اسرائيل يشوه وجه الحقيقة ويلغف ببراعة وذكاء ودهاء لا مثيل له ، حتى يبدو الباطل حقاً والحق باطلاً .. ما دام العرب لا يتقنون هذا الفن الرهيب ، وما دام التهويل والتهوئش يعودان

عليهم بالخسران فلا بد من التخلي عن الاساليب القديمة التي ما يزال يفيد منها العدو في مجال الدعاية . كان ماركوز يصغي ، يفكر .. كانت الحقيقة تنقل الية بموضوعية وبهدوء وبدون تشنج ...

قال احد الشباب الفلسطينيين : لا نريد اسرائيل التنازل عن شيء .. هي تريد استسلاماً ، تريد توسعاً . تتدفع بحكاية الحدود الامنة .. المستوطنات اليهودية ما تزال تقام واحدة بعد الاخرى على طول نهر الاردن .. القدس يتمسكون بها ، هضبات الجولان لا يمكن التخلي عنها لسوريا .. الخ هذا هو موقفهم الذي لا يغير .. هنا يستأذن العازر بشيري (من حزب المابم) ليتحدث عن مدى ما عانتها المستوطنات التي تشرف عليها هضبات الجولان مسن الاعتداءات العرب ، وليقول ان مسكهم اي اليهود بهذه الهضبات ضرورة أمنية قصوى .

ويجيبه ماركوز : لكن ممكن اعادها عند التسوية وجعلها منطقة مجردة من السلاح .. انكم تضيعون كل فرصة سانحة للسلام ، وتضعون المراقيل .. اخطاتم خطأ كبيراً حين لم تستجيبوا للمبادرة المصرية ، كان من الممكن ان تكون خطوة هامة جدا الى الامام . ومما قاله ان على المفكرين من كلا الطرفين العمل على تهيئة الجو للتفاهم وتبادل الثقة والسعي معا نحو سبيل أفضل لفرض النزاع .

وهنا قال الدكتور مناحم ملسون (استاذ الادب العربي الحديث في الجامعة العبرية في القدس ، وله دراسات كثيرة عن اعمال نجيب محفوظ بصورة خاصة وعن اعمال اديب عرب اخرين عامة) قال ملسون : من العجيب ان المفكرين العرب يظنون منطقيين الى ان يتناولوا قضية النزاع العربي الاسرائيلي . يفقد المنطق عندهم دروبه وتقيم النظرة الثاقبة للامور ، كالدكتور صادق العظم مثلاً يساري . وموقفه تجاه اسرائيل نابع من حقيقة كون اسرائيل دولة تابعة ودائرة في فلك الاستعمار الامريكاني .

هنا اجاب الطرف الاخر : لا تنس ان دكتور صادق العظم مفكر وقال ماركوز : هناك دولة عربية تابعة ايضاً للامبريالية الامريكانية . - : لكننا ضد تلك التبعية ، اجاب الطرف الاخر . ثم لا تنس ان اسرائيل هي دائما التهديد المباشر لكل دولة عربية ناهضت الامبريالية ، انها سلاح امريكا الموجه الى الدول العربية دائما . قالت السيدة ماركوز : « This is a nice touch » وابتسمت وقبل مفادته نابلس وعد بان يوافي الحضور بالتقرير الذي سيكتبه عن انطباعاته التي تركتها لقاءاته مع الطرفين .

وفي مؤتمره الصحفي الذي عقده قبل مفادته البلاد بايام قليلة سلم ماركوز تقريره الى الصحفيين الاسرائيليين بعد ان اشترط عليهم عدم التحريف في اقواله وآرائه التي أعلن عنها في ذلك التقرير ، كما بعث الى نابلس بنسخة منه .. قال بعض اليهود في اسرائيل : لقد خيبنا ماركوز ، لسنا براصين عن موقفه .

لقد أدانهم ، وقال في مكان اخر : كنت اتعاطف مع اليهود يوم كانوا مضطهدين في العالم . لكنني لا استطيع التعاطف معهم مطلقاً وانا اراهم اليوم يوقفون الظلم بشعب اخر .

مكتبة

دار الآداب اللبنانية

٤١ شارع شريف - القاهرة

بإدارة فتحي نوفل

اطلب منها جميع منشورات دار الآداب

ودور النشر اللبنانية ومجلة الآداب كل شهر